طرق تعليم اللغة العربية الحديثة
على مستوى البكالوريوس

بقلم : الدكتور عبد الحي
رئيس قسم اللغة العربية
بالكلية الحميدية الحكومية
بوفال (مادى براديش)
الهند

من المعلوم ان معظم الطلبة الذين يختارون اللغة العربية كمادة لهم على مستوى البكالوريوس يكونون من المبتدئين لها ، لا المام لهم بهذه اللغة مطلقا • لا يقدرون حتى على قراءة الجمل العربية السهلة • ويتعلمون لمدة سنتين في بعض الجامعات الهندية او لمدة ثلاث سنوات في بعضها الآخر لاجتياز هذه المرحلة من التعليم • ومهذه المدة ، وان كانت قصيرة ، ليست كافية لخلق الملكة اللغوية عند الطلبة اذا اردنا نحن الاساتذة وظيفتنا المنشودة وعلّمناهم هذه اللغة على اسس سليمة بمنهج مباشر واسلوب جذاب • فاقترح في هذا الصدد الطرائق الاساسية التالية :

خلق البيئة والظروف المناسبة باقسام العربية :

خلق البيئة والظروف المناسبة باقسام العربية هو احد الشروط اللازمة لرفع مستوى العربية بين الطلبة ـ وهذا ما لا يمكن تحقيقه الا اذا التزم الاساتذة الموظفون بهذه الاقسام التحدث باللغة العربية فيما بينهم ومع الطلبة على السواء ـ ومن المعروف ان اللغة ملكة سماعية ، وبقدر ما يسمع الطالب كلاما عربيا صحيحا يتعود على الكلام العربي الصحيح • فبهذه الطريقة لا يجد الطلبة فرص الاستماع الى العربية فحسب ، بل ايضا يرغبون في استخدامها لغة للتعبير عما في نفوسهم • وبالتالي يحاولون بانفسهم ممارسة الكلام بالعربية • فاختيار الاكفاء من المرشحين وتدريبهم على تعليم اللغة العربية وعلى التحدث بها من اهم المتطلبات لتحقيق هذا الامر • فينبغي الا يعين الا القادرون على الكلام بالعربية والراغبون فيه للتوظف بهذه الاقسام لكي يؤدوا رسالتهم كاملة •

ضرورة التعريف باهمية اللغة العربية •

من الجدير بالذكر في هذا الصدد ان اللغة العربية

قد اصبحت غير مقبولة حتى لدى المثقفين من الهنود ، وخصوصا الذين تثقفوا ثقافة غربية ، بسبب جهلهم باهميتها وثروتها الثقافية والعلمية الهائلة · ومبلغ علمهم عن اللغة العربية هو أنها لغة القرآن والحديث والصلاة ، ولا علاقة لها بالعلوم والفنون الحديثة · فلا المام لهم ، على سبيل المثال ، بان اللغة العربية هي اللغة ، التي تلقت عنها أوربا علوم الطب والفلسفة والفلك والكيمياء والرياضة فضلا عن فنون عديدة كفنون الطعام والشراب وصنع العقاقير والادوية ·· ، والتاريخ شاهد بان أوربا دخلت عصر النهضة من خلال تلك المعرفة الواسعة التي غطت كل مناحي الحياة · ولكن معظم الناس بشمول المثقفين المتعصبين على العربية لا يعلمون شيئا عن هذا · فلا يرى هؤلاء المثقفون ، أية فائدة من دراسة اللغة العربية سوى انها لغة الدين ، فيقللون من شانها ويسعون للاستغناء عنها حتى في مجال الدراسات الاسلامية ـ وطبعا يتاثر الطلبة الناشئون بافكارهم ، فلا يقبلون على دراسة اللغة العربية ·

فوجب قبل كل شيء ازالة جهل الناس والطلبة بالاهمية البالغة التي تحتلها اللغة العربية في العالم وفي ابرز المؤسسات الدولية نتيجة دور العرب والمسلمين وتاثيرهم الفعال في مختلف الميادين العلمية والثقافية والاقتصادية · ويمكن تحقيق هذا الامر بعقد الندوات العلمية وبتاليف مقالات علمية من قبل العلماء المتخصصين في العلوم العربية تقصد نشر قيم حضارة العرب الروحية والفكرية السامية ، والتعريف اكثر فاكثر بما في تراثهم الضخم من مضامين انسانية نبيلة ، الانسان المعاصر في أشد الحاجة اليها · فتعريف الطلبة بهذه الناحية للغة العربية ضروري جدا قصد جعلهم راغبين ومجدين لا في تعلمها في المراحل الابتدائية فحسب ، بل ايضا للتخصص فيها في المراحل المتقدمة · وايتنوا ، ايها العلماء الافاضل الكرام ، باننا ما لم نتمكن من اشعار الطلبة بضرورة واهمية تعلم اللغة العربية في حياتهم الدينية والدنيوية معا ، لن نقدر ابدا على رفع مستواها بمعاهدنا وجامعاتنا بالغا ما بلغنا من تحديث الاساليب التعليمية وتزويد الوسائل السمعية والبصرية ·

طريقة التعليم المباشر :

قبل ان أشرع في هذا الموضوع يجدر بي ان أحدد الهدف من تعليم العربية في هذه المرحلة · فينبغي للطلبة المتخرجين في هذه المرحلة أن يكونوا قادرين على قراءة وفهم النصوص العربية السهلة بشمول نصوص الجرائد العربية · وأيضا يرجى منهم أن يكونوا قد تمكنوا من التعبير عما في نفوسهم باللغة العربية السهلة بدون صعوبة · وما لم يحصلوا على هذه الدرجة من الملكة اللغوية ، لا ينبغي أن يسمح لهم بالتخرج في هذه المرحلة ·

ومن الاحسن أن نختار العربية لغة للتدريس ، بدلا من أن نلجا الى طريقة التعليم بواسطة الترجمة كما هو رائج في معظم اقسامنا حاليا · فينبغي أن نبدا بعملية التحدث بالعربية منذ اول لقاء مع الطلبة في قاعة الدرس باستخدام الطريقة التدريبية وهي الطريقة التي تعتمد على المرانة المستمرة من خلال الصور والنماذج التركيبية دون تعرض مباشر للقواعد النحوية في بداية الامر · ولا حرج اذا ترجمنا بعض الجمل العربية الى

الانجليزية أو الى لغة الطلبة المحلية اثناء التخاطب من وقت الى آخر قصد تسهيل فهمها على الطلبة المبتدئين. فبامكان المدرس أن يبدأ بالجمل الاسمية السهلة المركبة من مبتدأ وخبر كما يلي :

هذا كتاب ، ذلك قلم ، هذا انسان ، ذلك حيوان ، هذه طاولة ، تلك امرأة ، هذه أقلام ، تلك سيارة ، هذه سيارات ، أنا مدرّس ، أنت طالب ، أنت طالبة ، هؤلاء أولاد ، أولئك بنات ، حامد مهذّب ، محمود غير مهذّب، ذلك انسان عربي ، ذلك الانسان عربي وعلم جرا .

ومن الامور المهمة للمدرس أثناء تعليم هذه الجمل الاسمية الابتدائية أن يستفيد من المفردات المشتركة بين اللغة العربيه ولغة الدارسين غير الناطقين بالعربية. فهناك عدد كبير من الفاظ مشتركة بين اللغة العربية واللغة الاردوية تستعمل في كلتا اللغتين بنفس المعنى والدلالة . بعضها مذكورة ، على سبيل المثال ، فيما يلي:

كتاب ، كرسي ، قلم ، نبيّ ، رسول ، دين ، غنيّ ، فقير ، عشق ، عاشق ، معشوق ، محبوب ، طبّ، طبيب ، دواء ، مريض ، سجدة ، صلاة ، مسجد ، مجلّة ، دكّان ، خادم ، نثر ، نظم ، معلوم ، معروف ، بعيد ، قريب ، كريم ، سخي ، مبارك ، منحوس ، ضرر ، مضرّ ، فائدة ، مفيد ، غمّ ، مسرور ، نفع ، نافع ، حركة ، بركة ، مُفسد ، مصلح ، فاتح، مفتوح ، ظالم ، مظلوم ، حاضر ، غائب ، موجود ، كتاب ، كاتب ، مكتوب ، انسان ، حيوان ، ميدان ، عربي ، عجمي ، قبل ، بعد ، مدرسة ، مدرّس ، معلّم ، تعليم ، استاذ ، اذان ، مؤذّن ، جاهل ، عالم ، عدد ، كثير ، قليل ، منظر ، قبيح ، حسن ، خبيث ، جيّد ، محفل ، مجلس، وعلم جرا ..

فليستكثر المدرس من استعمال الالفاظ المالوفة في تراكيب متنوعة ، وليتدرج في اختيار وتقديم المفردات الجديدة حسب شيوعها ، وليستعملها في تراكيب مالوفة . ولا بد له من التكرار اسلوبا في تعليم المفردات والتراكيب الجديدة قصد ترسيخها في أذهان الدارسين .

وبعد أن مارس الطلبة تركيب الجمل الاسمية السهلة ينبغي للمدرس أن يمرّنهم على استعمال «ال» التعريف والتنوين والصفة والاضافة وحروف الجر وحروف العطف وجملة إنّ واخواتها وجملة « لا » النافية للجنس والجمل الاستفهامية . ولازم أن يتم كل ذلك بطريقة متدرجة من خلال الامثلة والنصوص المأخوذة من القرآن الكريم والكتاب المدرسي والجرائد والمجلات العربية . ومن الثابت الاكيد أن من العوامل الفعالة في معرفة القواعد اللغوية والتمكن منها عند الاستعمال بصورة تلقائية ، التمرس الغني الدائم بالنصوص الشائقة القريبة من نفس الطالب واهتماماته ، ولذلك ينبغي الاستكثار من النصوص والامثلة والتمارين للطلبة .

واما النصوص المختارة فينبغي أن تكون منتزعة من صميم حياة الطلبة المادية التي يحيونها وأن تكون مكتوبة في اسهل الالفاظ والكلمات واكثرها استعمالا ، وايضا أن تكون مطابقة لهوى الطلبة ومزاجهم كما

ينبغي أن تلتئم مع أذواقهم ومداركهم ٠

ومن المستحسن أن تعرض القواعد التي تعلمها الطالب على ما يكون قد حفظه من آيات القرآن الكريم، فمعظم الطلبة يقرأون هذا الكتاب المقدس ويحفظون بعض السور والآيات ويتلونها في صلواتهم ٠ فاذا علمناهم ، على سبيل المثال ، « لا » النافية للجنس ، ينبغي لنا ان نلفت انتباههم الى الآيات التالية :

« لا اكراه في الدين » ، « ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، « لا حول ولا قوة الا بالله » ، « ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به » ٠

كذلك بعد أن علمناهم الفعل الماضي والفعل المضارع والامر والنهي واستعمال « لم » وعلم جرا ينبغي لنا أن نطالبهم بالشرح اللغوي لمثل ما يلي من الآيات السهلة اللغة والتراكيب التي يكونون قد حفظوها من قبل :

« قل يا أيها الكافرون ٠ لا أعبد ما تعبدون ٠ ولا أنتم عابدون ما أعبد ٠ ولا أنا عابد ما عبدتم ٠ ولا أنتم عابدون ما أعبد ٠ لكم دينكم ولي دين » ٠

« ألم نشرح لك صدرك ٠ ووضعنا عنك وزرك ٠ الذي أنقض ظهرك ٠ ورفعنا لك ذكرك ٠ فان مع العسر يسرا ٠ ان مع العسر يسرا ٠ فاذا فرغت فانصب ٠ والى ربك فارغب » ٠

ولا شك ان هذه الطريقة ستساعد في ترسيخ التراكيب اللغوية المتنوعة في أذهان الدارسين وتزويدهم رغبة في تعلم اللغة اذ يعتزون بانهم بداوا يفهمون شيئا من القرآن الكريم ٠ وجنبا الى جنب لهذا ، ينبغي لنا أن نطالبهم بالاستكثار من قراءة وشرح النصوص السهلة اللغة المنتقاة من الادب العربي الحديث والجرائد العربية ٠

تسهيل دراسة النحو العربي :

٠ وعندما بدأنا بتدريس الجمل الفعلية ، لا بد لنا من تعليمهم الجانب العملي التطبيقي للنحو العربي ، ولا حاجة لنا الى الجانب النظري في هذه المرحلة ٠ وينبغي لنا أن نضيف الى معلوماتهم تدريجيا وبتمهل حتى لا نضعهم امام أشياء قد تبدو لهم صعبة لاول وهلة ٠

ويجب علينا أن نبين للطلبة موقف النحو من اللغة بوضوح ٠ فانما وضع النحو لغاية ، هي تقويم اليد عند الكتابة وتقويم اللسان عند الكلام ليكون ما يكتب وما يقال جاريا على مثال العربية الفصحى ٠ فلا يتعلم النحو من أجل النحو في ذاته ٠ انما نتعلمه ليكون أداة في تقويم الكلام والكتابة والقراءة ٠ فاذن لا داعي الى استظهار قواعده وحفظ تفصيلاته ، ولا فائدة منها ٠ ولكن بخلاف هذا لا يزال منهج تعليم النحو المتبع بمعظم مدارسنا وجاماتنا غير طبيعي وصعبا جدا حيث يطلب من الطلبة ان يستظهروا معظم قواعد النحو والصرف اتباعا للاسلوب القديم من غير عرضها على النصوص العربية ٠ وهذا مما يسبب النفور من اللغة حتى عند بعض الراغبين المجدين في تعلمها بدلا من ان

يخلق فيهم الملكة اللغوية ، فيعزبون عن دراستها . فمن اللازم أن يتبع الاسلوب المباشر لتعليم العربية حيث يقف الطلبة على تطبيق القواعد النحوية الشائعة الاستعمال من خلال النصوص بدون شق الانفس وفقا لما هو رائج في تعليم اللغات الاوربية الحديثة ، فيقتدرون على التحدث بها .

وبالاضافة الى هذا ، يجب ألا يكلفوا تعلّم التفاصيل المدققة للنحو العربي في هذه المرحلة ، كما يجب الاستغناء عن الجدل النحوي العقيم والتمارين الخالية من الضرورة . وجديرٌ بالذكر في هذا الصدد أنه ادخل على قواعد اللغة العربية مئات ومئات من التعقيدات والتزايدات الوهمية العقيمة ، خصوصا في تصريف الالفاظ المعتلة ، من قبل علماء النحو العربي . وهذا مما جعل قواعد اللغة العربية صعبة على الطلاب ، بدلا من ان تسهّل تعلمها عليهم ، فينبغي تقليم علوم اللغة وتخليصها من مثل هذه التعقيدات الوهمية التي لا فائدة منها ، وقد انتقد الاستاذ محمد خليفة التونسي هذه التفاثات اللغوية بالفاظ تالية :

« ولم يزعم أحد من علماء لغتنا أنه سمع من عربي ـ تؤخذ عنه اللغة ـ لفظ (بَيَعَ) أو (قَوَلَ) فعلا ماضيا ، ولا (يَبِيعُ) و (يَقُولُ) ونحو ذلك مما يفترضه علماؤنا في تصريف الالفاظ المعتلة ، فان فروضهم وهمية ، وهي في خير احوالها حيل تعليمية ، أدّاهم اليها اجتهادهم الخاطىء حين قاسوا الكلمات المعتلة على الصحيحة ...

« وخير من قياس الكلمات المعتلة على الصحيحة أن نجعل للمعتلة شواهد ، كما جعلنا للصحيحة شواهد، للقياس عليها ، فنحن في الافعال الثلاثية الصحيحة نقول : باب (نَصَر) أو (ضرب) أو « علم » ... وصفة الفاعل على وزن (فاعل) وصفة المفعول على وزن (مفعول) فلنقل هكذا في الافعال المعتلة على اختلاف موضع العلة منها : فنقول مثلا ، باب (وقف) و (بـاع) و (قـال) و « مشـى » و « سمـا » و (سعى) ... ونصرف هذه الافعال المجردة والمزيد منها بحسب ارمنتها في حال اسنادها الى المتكلم . والمخاطب ، والغائب ، مفردا ، ومثنى وجمعا ، كما نصرف منها صيغ الصفات للفاعل والمفعول .. وأسماء الزمان والمكان والآلة ، ونحو ذلك من المشتقات » .

تعليم التعابير الاصطلاحية :

ان اللغة العربية تحفل قديما وحديثا بتعابير اصطلاحية يصعب فهمها على الطلبة غير الناطقين بالعربية ان لم يكونوا قد درسوها من قبل ، ولو كانوا ملمين بجميع المفردات المستعملة فيها . فالفعل « أطلق » مثلا الذي يعني أصلا « حرّر » يستعمل في عدد من التعابير الاصطلاحية مثل :

أطلق سراحه : أخلى سبيله
أطلق العنان له : جعله يتصرف على هواه
أطلق يده في الامر : جعله يتصرف فيه بحرية
أطلق ساقيه للريح : فر مسرعا

والفعل « ألقى » الذي يعني « طرح » يستعمل كما يلي :

ألقى الضوء على المشكلة : وصفها

ألقى السمع اليه : أصغى اليه

ألقى القول عليه : أبلغه اياه

وكذلك الفعل : « مال » الذي يعني (زال عن استوائه) يظهر في عدة تعابير اصطلاحية مثل :

مال الى : أحبّ

مال على : ظلم

مال عن : حاد عن ، وهكذا

فلا بد لنا من تدريس الطلبة مثل هذه التعابير الاصطلاحية • ويكون من الافضل اذا أعددنا وطبعنا مسردا للكلمات العربية الجديدة والتعابير الاصطلاحية الشائعة الاستعمال مع شرحها ومقابلاتها الانجليزية • فيكون ذلك مرجعا للطلبة وعونا لهم ينظرون فيه ويعتمدون عليه عند الحاجة •